(محاولة كتابة شيء ما)

هيأت طقوس الكتابة.. فنجان القهوة، الأقلام، والأوراق البيضاء، وبعض الكتب المتناثرة على المكتب بإهمال، علبة سجائر ما زالت عذراء لم يمسسها بشر، أين بنات أفكاري؟

هل تزوجن؟ هل توفين في حادثة سيارة؟... أو تم أسرهن في قلعة الموت لدى الحشّاشين، جلست، وقفت، مشيت في كل شبر في الغرفة، زحفت على الأرض كزاحفة منقرضة، ذهبت إلى المطبخ.. فتحت الثلاجة وأكلت، وقفت في البلكونة أتابع البشر، وأكلت، استنشقت عطر الياسمين، وأكلت، أمسكت القلم أعصره، لعله يتساقط منه كلماتٌ باقية من قصة ما، لكنه كان أبخل من كَسع -هو رجل بلغ من بخله أنه كوى اسْتَ كلبه حتى لا ينبح، فيدل عليه الضيف- لم يمنحني سوى خطوط متقاطعة، ودوائر متداخلة، تلك الدوائر أخذت تشدني كثقب أسودَ إلى أسئلة لم أجب عليها بعد، هل أصبت عندما استقلت من الوظيفة الحكومية التي يسعى إليها بنو البشر في بر مصر؟ عمل إدارى مقيت.. رتيب.. مملّ.. مئات الوجوه تتمنى لك الجحيم.. آلاف الأوراق، أختام، ضجيج، ابتسامات لزجة.. عرق... شاي أسود من ليلة رعب بلا قمر، يذيقك مرارة الدنيا، ويذكرك بعذاب الاخرة، لعنات تصب عليك كأنك من الكفار، ومدير مربع كلما بدا لك يصبح الهواء ثقيلا، ويقذفك بنكتة انتهت صلاحيتها بانتهاء الخلافة العثمانية، لا يضحك عليها إلا هو، وبعض المتملّقين، ثم يتدحرج عائدًا مكتبه، مطمئنًا أنه أدى عمله، وجعل حياتي

نعيما مقيما، عيون الناس تخترقك، جحيم مستعرّ، هذا هو عملك، عذاب سيزيفي، وفي وسط هذا المستنقع، تنبت زهرة، هي من أعطتني القوة لأحتمل سخافات الآخرين، (دينا) جميلتي في بلاد الأحزان، قطعة السكر، والحلم المستحيل، كان يوم قدومها علينا يوم عيد، فقد توقف مديرنا عن إطلاق نكاته الضارة جدًّا بالصحة، تحذير: قد تؤدي إلى الوفاة لو زادت الجرعة، بدأت أتنسم عبير الياسمين، وأرى العصافير والحقول الخضراء، وأسمع صوت فيروز، أنا لحبيبي وحبيبي إلي، أخرجني مما أنا فيه صوت نقيق ضفادع، يبدو أنه موسم التزاوج فكل رجال المكتب بدأتْ الهرمونات تعمل عملها، والكل بدأ يخطط ليحصل على قطعة البسبوسة، حتى (عم إسماعيل) الموظف المثالي لعقدين من الزمن، المعمر الذي بلغ من العمر عتيا، بدأ يهتم بمظهره كسحلية تستعد للزواج، ألوان ملابسه تنافس قوس قزح، ومطربي الأفراح الشعبية، ولوحات الفن السيريالي، إنه خصم هيّن، أستطيع الفوز عليه بسهولة، ولكن هناك بقية أفراد القبيلة، الكل يشحذ أسلحته، إنها معركة، ولا بد من منتصر، أنا سأستخدم الأسلوب المثالي، وهو التجاهل، الكل مهتمٌّ ويبذل الغالي والرخيص لنيل رضاها، إذن سأكون المختلف، هي التي ستبحث عني في كل مكان، وتسأل موج البحر وفيروز الشطآن، منافسي الأخطر هو أستاذنا المثقف المحفلط كتير الكلام، الأستاذ (أنس)، الذي يتكلم عن كل شيء، ويعرف كل شيء، يتكلم عن الاشتراكية الثورية، وعن العدد الذري لذرة الماغنسيوم، ولون أنثى ذبابة الفاكهة.. ومذبحة المماليك، وعن ديانة السيخ، والاحتباس الحراري في كوكب الزهرة،

موسوعة تمشي على قدمين، أسطورة حية، لا بد من قتله.. الكل يرسم ابتسامات بلْهاء، وعيون تحمل حبًّا ووعدا بالجنة، جاءتني تمشى الهوينى كما يمشي الوجي الوحل، وقالت بصوت ملائكي: استاذ (خالد). ما أجمل اسمي!، تكمل جريمتها قائلة: لو سمحت ملف الاستاذ (دسوقي). موسيقى إنها لا تتكلم إنها تعزف، أعطيتها الملف ويداي ترتعشان!

قالت بدلع: ما لك يا استاذ (خالد)؟

قلت: لا شيء.. مرهق.

قالت وهي تمسك بالملف وتمس يدي فيسري في جسدي تيار كهربي بآلاف الفولتات رأيت جنانا وسموات وألوانا: لابد أن تستريح. عدت للأرض أحاول أن أجمع ما تبقى من أعصابي، أغرق في عينيها العسليتين، لم يمضِ إلا أيام قليلة وتم إعلان خطبتها على (عم إسماعيل) المنتهي الصلاحية، لقد ورث هذا العجوز ثروة تقدر بالملايين من قريب له، كان يعيش في البلاد البعيدة البعيدة، كان يومًا صعبا، وأنا أراها بجانب (عم إسماعيل)، تتمايل على أنغام الموسيقى الصاخبة، والأصعب أن أرى (عم إسماعيل) يرقص على أغنية آه لو لعبت يا زهر، كانت هذه هي القشة التي قصمت ظهر البعير، استقلت رغم أن المدير قد وعدني أنه سيخفف من نكاته يومي الأحد والأربعاء، لكني رفضت هذا العرض المغري، وعدت إلى البيت محملًا بالأوراق البيضاء وبعض الأقلام.. سأحقق أمنيتي، وأؤلف كتابا، أشعلت سيجارة، وسحبت نفسًا عميقا وأطلقت سحبًا من الدخان، لعلها تمطر أفكارا، وتنبت كلمات على هذا الورق الأبيض، كم أكره هذا اللون!